

الاستشراق

نشأته وأهدافه

للدكتور حسن ضياء الدين عمر

انداحت دائرة الاسلام في أرجاء المعمورة حتى بلغت جبال الصين شرقاً وحدود فرنسا غرباً ، في نحو قرن من الزمان . هيمن الإسلام على العالم بعز عزيز أو بذل ذليل ، كما أخبر رسوله المصطفى صلى الله عليه وسلم . فلو نظرت في خارطة العالم القديم لعينت مصداق خبره صلى الله عليه وسلم ، خاصة إذا لاحظت أن قارتي (أمريكا وأوقيانوسيا) لم تكونا معروفتين آنئذ . وأن بقاع العالم التي لم يدخلها المسلمون لم تكن ذات شأن يومئذ . . . والتخلف والجهل والمرض والفوضى والظلم والضعف والخمول كانت مزايا المجتمعات الإنسانية يومئذ إلا من نور الله قلوبهم بالإسلام .

والرياضيات والفلك . . . الخ كما أتاحت لهم فرص ثمينة لمعرفة الإسلام وعلومه من مركزي الإشعاع الإسلامي في الغرب (الأندلس وصقلية) .

ونبغ كثيرون بعضهم رهبان ، منهم الراهب الفرنسي « جربرت » وقد انتخب بابا الكنيسة رومانية (٩٩٩ م) وكان قد تلقى علومه في الأندلس .

أراد الغرب لدى انبهاره بتقدم المسلمين العظيم أن يتلافى بعض تخلفه فراحت بعثاته تتلقى العلم والنور من الأندلس وصقلية . وهذا في الواقع مطلع الاستشراق - في رأينا - وقد تلقى أبناء الغرب من علماء الإسلام مختلف العلوم ، إذ لم يرضوا عليهم بشيء - على العكس تماماً من فعل الغربيين اليوم - فتعلموا الطب والفلسفة والمنطق

الجليل ، أرجو التكرم بقبولها مع التعظيم والحب الخالص . من خادمكم المطيع) . « جورج »

وقد رد الخليفة هشام الثالث على ملك انجلترا « جورج » برسالة جاء فيها :

(لقد اطلعت على التماسكم فوافقت بعد استشارة من يعينهم الأمر على طلبكم ، وعليه نعلمكم بأنه سينفق على هذه البعثة من بيت مال المسلمين دلالة على مودتنا لشخصكم الملكي . أما هديتكم فقد تلقيتها بسرور زائد . وبالمقابلة أبعث اليكم بغالي الطنافس الأندلسية وهي من صنع أبنائنا هدية لحضرتكم وفيها المغزى الكافي للتدليل على اتفاقنا ومحبتنا والسلام) .

« خليفة رسول الله على ديار الأندلس : هشام »

وفي عهد ملوك الطوائف بالأندلس كانت توفد الى معاهد غرناطة واشبيلية وغيرهما بعثات من فرنسا وإيطاليا والأراضي الواطئة ، لتنهل من الحضارة العربية . وكان طلاب هذه البعثات يعجبون بالحياة العربية وتقاليدها وثقافتها

وقد توالى البعثات على الأندلس منذ استقر المسلمون فيها . وفي أوائل القرن الخامس الهجري أرسل جورج الثاني ملك انجلترا ابنة أخيه الأميرة « دوبانت » على رأس بعثة من ثمان عشرة فتاة من بنات الأمراء والأعيان الى اشبيلية ، بمرافقة النزيل سفليك رئيس موظفي القصر الملكي . وأرسل معه كتاباً الى الخليفة هشام الثالث آخر الخلفاء الأمويين بالأندلس ، جاء فيه بعد الديباجة :

(وقد سمعنا عن الرقي العظيم الذي تتمتع بفيضه الصافي معاهد العلم والصناعات في بلادكم العامرة ، فأردنا لأبنائنا اقتباس نماذج هذه الفضائل لتكون بداية حسنة في اقتفاء أثركم ، لنشر أنوار العلم في بلادنا التي يحيط بها الجهل من أركانها الأربعة . وقد أرسلنا ابنة شقيقنا الأميرة « دوبانت » على رأس بعثة من بنات الأشراف الانجليز ، لتتشرف بلثم أهداب العرش والتماس العطف ، ولتكون مع زميلاتنا موضع عناية عظمتكم وحماية الحاشية الكريمة وحذب من لدن اللواتي سيتوفرن على تعليمهن ، وقد أرفقت الأميرة الصغيرة بهدية متواضعة لمقامكم

عليه . ونجد فيما بعد أن القرآن ترجم ونشر باللاتينية سنة ١٥٠٩ م ولكن لم يسمح للقراء أن يقتنوه ويتداولوه ، لأن طبعته لم تكن مصحوبة بالردود . وفي عام ١٥٩٤ م أصدر هنكلمان ترجمته وجاءت على الأثر سنة ١٥٩٨ م طبعة مراثشي مصحوبة بالردود .. (٢)

غزا الغرب الشرق في حرب صليبية حاقدة ضارية .. ومكثوا في الشرق قرنين من الزمان ، وسيطروا على مواقعه الممتازة وعلى قلب العالم الاسلامي فلسطين .. وخفتت الأصوات وتلاشت المقاومة وطاب المقام للصليبيين في بلاد الإسلام ، يأخذون من خيراته وينهبون أمواله وينهلون من علومه ، ويقتبسون صناعاته وفنونه المتقدمة في جميع جوانب الحياة ، ويرسلون الى بلادهم من كتبه المخطوطة وتراثه العلمي الثمين بغير حساب ، وتمكنت الصليبية من أعناق المسلمين وديارهم .. انقطع الأمل وبطل العمل .. ودخل في روع الصليبيين وعامة

حتى أن بعضهم اعتنق الاسلام وفضل البقاء بالأندلس ولم يعد إلى بلاده (١) .

وظل الغرب عالة على علوم المسلمين . ولما نشطت الدراسة فيه كانت كتب العرب هي المصادر العلمية الأصلية في جامعاته . وظلت بعض جامعاته في النمسا تدرس بعض كتب الطب العربية حتى نهاية القرن التاسع عشر .

لقد وجد منذ البداية أفراد منهم درسوا الاسلام واللغة العربية حتى قاموا بترجمة القرآن وبعض الكتب العربية العلمية والأدبية . قال العلامة أبو عبد الله الزنجاني في كتابه « تاريخ القرآن » :

(ربما كانت أول ترجمة للقرآن الى اللغة اللاتينية لغة العلم في أوربا ، وذلك في سنة ١١٤٣ م بقلم « كنت » الذي استعان في عمله ببطرس الطليلي وعالم ثانٍ عربي ، فيكون القرآن قد دخل أوروبا عن طريق الأندلس ، وكان الغرض من ترجمته عرضه على « دي كلوني » بقصد الرد

(٢) نقلا عن مناهل العرفان جـ ٢ ص ٤ .

(١) تاريخ الحضارة الاسلامية - جاد محمد

رمضان - ص ١٧٦ / ١٧٧ .

تاريخ البدء بذلك . لكننا نعلم أن الاستعمار الغربي للشرق ، قد أخرج الاستشراق من الاقتصار على دراسة علوم الإسلام ولغته وحضارته الى دراسة أحوال الشرق دراسة كاملة ، بدياناته وعاداته وحضاراته وتقاليده وجغرافيته واقتصاده ولغاته . . لكنهم أولوا علوم الإسلام العناية العظمى لأن نهضته - في توهمهم - أعظم رهبة ، وترنحه أكبر غنيمة !! ؟

فالاستشراق هو دراسات غير الشرقيين لحضارات الشرق وأديانه ولغاته وتاريخه وعلومه واتجاهاته النفسية واحواله الاجتماعية ، وبخاصة حضارة الإسلام وأحوال الأمة الإسلامية في مختلف العصور . وللقائمين بالاستشراق دوافع بعثتهم على السير فيه ، وجعلت لهم أهدافاً معينة ، فسلكوا لتحقيقها أساليب لم يعرفها تاريخ البحث العلمي إطلاقاً ، ولم يعول عليها أحد من علماء الغرب في غير الدراسات الاستشراقية !

ونحن نُميّز في المستشرقين أناساً أصحاب حياد وإنصاف ، وهؤلاء لهم كتابات معتبرة ، وفيهم مسلمون ، ومعظمهم مغمور غير معروف ، ولا يتلقون

المسلمين أن الأمر انتهى ، وأن على الإسلام السلام ، لا تقوم له قائمة إلى الأبد . . لكن أناساً عرفوا أن لا ملجأ إلا إلى الله وحده . . وكان في ذروتهم نور الدين الشهيد . . ثم صلاح الدين الأيوبي . . فجاهدوا في الله حق جهاده فانحسر ظلام الصليبية عن الشرق . وأشرقت عليه شمس الإسلام من جديد . .

أدرك الغرب يقيناً أن التغلب على المسلمين والتحكم فيهم عسكرياً حدث قصير العمر . فانصرفت همم مفكريهم وعلمائهم الى الغزو الفكري . وكان العلم في أوروبا آنئذ حكراً على الكنيسة ورجالها . فنشطت الدراسات الاستشراقية حتى عصرنا هذا وصحبها السطو على التراث الإسلامي ومؤلفات المسلمين المخطوطة بالسرقة والرشوة . . . فبلغت نوادر المخطوطات العربية في مختلف العلوم في مكتبات أوروبا مائتين وخمسين ألف مجلد في مطلع القرن التاسع عشر ، ولا تزال في ازدياد حتى أيامنا هذه .

ولا نعرف على وجه التحديد أول غربي اتجه الى دراسة العلوم الاسلامية ، ولا

خمور وقمار وشهوات آثمة . فأعطوا صورة تافهة شنيعة عن الإسلام ، لا تمت إليه بصلة من قريب ولا بعيد . دفعهم إلى هذا انتشار اليقظة الفكرية في شعوب أوروبا وزهدهم في أفكار الكنيسة ونفورهم من تخاريفها وإعراضهم عن الديانة المسيحية . فصار مرتقباً دخولهم في الإسلام لو عرفوا حقائقه مما حدا برجال الكنيسة الى اختلاق هذه الصورة الشوهاء عن الإسلام واشاعتها في شعوب الغرب لإقناعهم أن الإسلام دين لا يستحق الاعتناق .

استمرت الدراسات الاستشراقية على هذه الشاكلة حتى مطلع القرن العشرين تقريباً . فقد كثرت اتصالات الغرب بالشرق ، وأصبح كثير من الأوروبيين يطلعون بأنفسهم على حقائق الإسلام وأخلاق نبي الإسلام محمد عليه الصلاة والسلام وعلى معاني حقيقة من القرآن العظيم كتاب رب العالمين . . وهكذا تلاشت الثقة بكتابات الاستشراق القديمة ، مما حدا برجاله أن يغيروا منهجهم فظهر كتاب « الأبطال » لكارليل . ترجم فيه لعدد كبير من الأبطال

شيئاً من مساعدات المسلمين أو غيرهم . بينما تجد المتحاملين من المستشرقين يلقون عناية حكومية ودعمًا ماديًا ومعنويًا من جهات متعددة . . !!

وقد دأبت الكتابات الإسلامية المعاصرة على اطلاق كلمتي « المستشرقين والاستشراق » على المغرضين منهم ، وعلى اتجاهاتهم المغرضة في الأبحاث الإسلامية . ومن الطبيعي أن نورد نفس الإطلاق عليهم ، ولسنا نقصد إلا الصنف المنحرف منهم . هذه ملاحظة هامة في سائر كلامنا . نسأل الله تعالى أن يهدي قلوب العباد اليه .

دوافع الاستشراق

١ - الدافع الديني : ظل العلم في أوروبا حكرًا على الكنيسة ورجالها حتى عصر النهضة الأوروبية . فنشأ الاستشراق برجال الكهنوت بتوجيه من الكنيسة . وقد دفعتهم العصبية الكنسية إلى تشويه حقائق الإسلام وقلب محاسنه مساوئ ، فدعموا بذلك سلطانهم الديني على شعوبهم ، وأوهموهم أن الإسلام دين لصوصية وسلب ونهب وسفك دماء وزنى وإدمان

٢ - الدافع الاستعماري : لم تنقطع أطماع الغرب في الشرق بعد الهزيمة الكبرى في الحروب الصليبية . فعكف علماءه على دراسة الشرق ، عقائد وعادات وأخلاقاً وثروات ولغات وتاريخاً ، ودراسة خصائص الشعوب وأحوالها وجغرافية الشرق ومزاياها والمواقع العامة فيه . فعرفوا بواعث الشرق الى القوة والمجد ومواقع الخير والإنتاج والعبقريّة والتفوق ومواقع الجذب وهزال الإمكانيات والمواهب . فلما تمكنوا عسكرياً من الشرق وخاصة بعد الحرب العالمية الأولى أفادوا من خبراتهم في تحطيم قوى الشرق وإضعافه روحياً ومعنوياً واستلاب كنوزه العلمية والمادية ، وعرفوا الفئات التي يمكن أن يتخذوا من أهلها صنائع لهم وعملاء ، وحاولوا إفقاد الشرق ثقته بنفسه ومبادئه وتراثه وحضارته وتقاليده وآدابه وأخلاقه ، فأمكنهم أن يخرجوا ضعاف النفوس وجهلاء الناس من دين الله أفواجاً أفواجاً ، فتم ابتزاز خير الشرق مادياً وتخریب شعوبه دينياً وتمزيق وحدته وشمله اجتماعياً . فأيقظوا الفتن الطائفية من درزية وعلوية . . والنصرة الصليبية في نصارى الشرق ، وأحيوا الأفكار القومية من

في نظره ، وأدرج جانباً مشرقاً من سيرة محمد صلى الله عليه وسلم على أنه بطل عظيم لا أنه رسول كريم . ودخلت التفلسفات والتفسيرات المادية في عرض المستشرقين للإسلام . وهذا ما عبر عنه المستشرق السير هاملتون جب بقوله : (لقد تغير العلماء وموقفهم كثيراً خلال نصف قرن تقريباً ، منذ مؤلفات كابتاني وبهل عن حياة محمد) .

ولكن الذي يهمننا أن نتبين تخوف علماء الغرب على شعوبهم من اعتناق دين الاسلام ، وفزعهم من جاذبيته القوية ، حتى حملهم ذلك على تغيير منهجهم بعد افتضاح التزييف والتزوير الذي قامت عليه دراساتهم عدة قرون . وأضحت هذه الدراسات تنقسم إلى مدارس بحسب أغراض ودوافع ممولّيها والقائمين عليها . وتبدو مدارسهم كما يلي :

- ١ - المدرسة النصرانية ، ولها نزعتان : الكاثوليكية والبروتستانتية .
- ٢ - المدرسة اليهودية .
- ٣ - المدرسة الإلحادية العامة .
- ٤ - المدرسة الإلحادية الشيوعية .



عربية وكردية وفارسية وتركية وفرعونية .
فتمت لهم الهيمنة على الشرق بتطبيق
مبدئهم الأساسي : (فرق تسد) .

٣ - الدافع السياسي : قامت دول
الغرب اثناء الاستعمار وبعده بالاستفادة من
دراسات الاستشراق . فجعلت في
سفاراتها وقنصلياتها أناساً على تضلع
بالدراسات الشرقية . فأدوا بذلك أدواراً
كثيرة منها اقتناء عملاء لدولهم سواء على
الصعيد السياسي والفكري والتربوي
والإعلامي في الإذاعة والصحافة . . . فكثروا
الناعقون المتحزقون بتفلسفات جوفاء
فاضحة البطلان ، لا تخدم سوى سياسة
السادة الممولين . . ومن ذلك إثارة الفتن
بين السكان . . . وطبخ الانقلابات
العسكرية لصالح سياسة دولة من دولهم
... وما أكثر الانقلابات المخربة التي
قامت بسبب تنافس الدول الغربية في بسط
نفوذها . . . وما أكثر الفتن . . وما أكثر
الدماء . . !!

٥ - الدافع العلمي : ولا ننكر أن فئة من
المستشرقين قليلة العدد عكف رجالها على
دراسة الاسلام وحضارته بدافع علمي
سليم . فجاء نتاجهم العلمي أقل أخطاء
من نتاج غيرهم ، وسبب أخطائهم جهلهم
بالعربية وتأثرهم بالمفاهيم الغربية ،
ولكن جاء انتاجهم بريئاً من الخبث والدس
والمكر والتحريف ، وقد هدى الله قلوب
نفر منهم فأمن بالقرآن كتاب الله تعالى
وبمحمد رسول الله صلى الله عليه وسلم .
ولم تتسع دائرة هؤلاء فإن أبحاثهم لم
يرحب بها الساسة ولا الكنيسة . فلا يلقون
تمويلاً ولا دعماً ، ولا يدر عليهم انتاجهم
كسباً مجدياً . من هؤلاء « الفونس اتين
دينه » الملقب بناصر الدين . وهو فرنسي
ولد في باريس سنة ١٨٦١ . وكان فناناً

٤ - الدافع الاقتصادي : عرف الغرب
الموارد الطبيعية في الشرق والثروات
الأرضية الباطنية ، كما عرف الأسواق
التجارية والصناعات المحلية . .

مطالعتها ، ووقفوا منهم موقف التقدير والاحترام لأنهم قاموا فعلاً بأبحاثهم بتفكير حيادي موضوعي يبغي الحقيقة وامتطوا صهوة الجراءة فجهروا بالحق الذي توصلوا اليه دون مجاملة ولا تملق . ومن هنا فإن الكتاب المسلمين الغيورين على دينهم يشيرون إلى فضل هؤلاء ، ولا يقفون من أخطائهم موقف المهاجم المندد . وكل تنديد عام بالمستشرقين إنما يراد به تلك المدارس الاستشراقية المغرضة الجانية على الحقيقة . أما أخطاء المنصفين من المستشرقين فقد قوبلت بردود هادئة فيها التقدير والود إلى جانب التصحيح . ومن ذلك ما قدمه الأستاذ العلامة المحامي الكبير محمد السبسي رحمه الله في رده على أخطاء كتاب « شمس العرب تسطع على الغرب » للمستشرقة « زغريد هونكه » وقد وزعت نشراته مجاناً على العلماء والمثقفين كما نشرته بعض المجلات الإسلامية^(٤) .

مرهف الحس ، تفحص الديانة المسيحية والرسوم الكنسية فلم تشبع تطلعه العقلي والعلمي ، فاطلع على الاسلام وأعلن اعتناقه إياه ثم أصدر كتباً فيه : منها : « أشعة خاصة بنور السلام » و « محمد رسول الله »^(١) و « الحج إلى بيت الله الحرام » . ومن المستشرقين المنصفين أيضاً « مورييس بوكاي » وقد ألف كتاباً عن القرآن والعلم الحديث بالفرنسية ، لكنه ترجم إلى العربية بعنوان « دراسة الكتب المقدسة في ضوء المعارف الحديثة »^(٢) كما ترجمه مؤلفه إلى الإنكليزية وتم نشره بالإنكليزية . ومنهم أيضاً السيدة الألمانية « زغريد هونكه » صاحبة كتاب « شمس الله تسطع على الغرب » لكن المشرف على نشره مسيحي فنشر ترجمته بعنوان « شمس العرب تسطع على الغرب »^(٣) .

إن هؤلاء وغيرهم قد تلقى المسلمون انتاجهم - على ما فيه من أخطاء عفوية - بالترحاب والإقبال على

(٢) نشرته دار المعارف المصرية . (٣) نشر في لبنان .
(٤) اقتبست تصنيف دوافع المستشرقين من كتاب أجنحة المكر الثلاثة - للشيخ عبد الرحمن جبنكه ص ٩٤/٩١ وقدمته بتصرف ويزيادة فوائد هامة .

(١) وقد ترجمه إلى العربية الدكتور عبد الحليم محمود ، والدكتور محمد عبد الحليم محمود . وقد نشرته دار المعارف المصرية مع مقدمة نافعة للدكتور عبد الحليم محمود .

أوجه النشاط الاستشراقي

١ - يباشر المستشرقون بأنفسهم ممارسة نشاطات في العالم الإسلامي ، إذ يؤازرون المبشرين في أعمالهم التبشيرية ويمدونهم بالخبرات والمعالجات لكثير من المسائل والمواقف ، كما يباشرون نشاطهم في الجامعات العربية والإسلامية بإلقاء محاضرات ، مفعمة بالتعرض والتليس وتشويه الحقائق . وإن أكثرهم فتكاً بالإسلام وتضليلاً للمسلمين الذين لهم تلامذة أوفياء لفكرهم في جامعاتنا ، يستدعونهم للمحاضرة فيها . وينال التلامذة أجورهم دعماً مادياً أو معنوياً يوصلهم إلى الرتب العالية والمواقع الحساسة في الدول العربية والإسلامية . وقد بدأ نشاطهم الجامعي في مطلع الاستعمار الحديث للبلاد الإسلامية . ونشاطهم في جامعات مصر ولبنان وغيرهما لا يحتاج إلى تعريف !

٢ - وبث المستشرقون سمومهم في مقالات نشرتها مجلات خاصة بالأبحاث الاستشراقية . ولم يكفهم هذا حتى نفثوا سمومهم في المجلات والصحف المحلية

المأجورة في أرجاء العالم الإسلامي . وهكذا غُزي المسلمون فكرياً في عقر دارهم . وحسبنا الله ونعم الوكيل .

٣ - قام المستشرقون بتأليف الكتب في جميع العلوم الإسلامية . كما حققوا ونشروا بعض الكتب المخطوطة القديمة ؛ لكن بمعاونة علماء مسلمين لم تذكر أسماءهم في معظم الأحيان . وانصب معظم اهتمامهم على علوم القرآن والسنة لأنهما المصدران الأساسيان للدين الإسلامي . ثم على سيرة الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم . . . للطعن في نبوته من خلال عرض حوادث السيرة بأسلوب من الكذب والتحريف . . . ولكن يأبى الله إلا أن يحق الحق ويبطل الباطل وأن يتم نوره ولو كره الكافرون !!

٤ - عمد كبار المستشرقين إلى تأليف الموسوعات الإسلامية واصدارها بعدة لغات ، وتمت ترجمة بعضها الى العربية . . . وللموسوعة جدوى علمية ميسورة للمثقف العام . بتسيط لا نجده في معظم التراث الإسلامي . مما جعلها موضع إقبال أبناء المسلمين إثارة للراحة

المستشرقين . ولا حول ولا قوة إلا بالله
العلي العظيم .

خطة الاستشراق

إن معرفة دوافع الاستشراق ومناهجه
وأهدافه وخططه إنما يكون بتقصي
الباحث كتابات المستشرقين وأعمالهم
ومقرراتهم وتصريحاتهم ومن ملاحظات
واقعية .

ونستخلص المخطط الإجمالي
للاستشراق المغرض فيما يلي :

١ - الهجوم على الإسلام وإحداث
جلبة عالية حوله بتقديم ركام ضخمة من
المطاعن والشبهات ، ليحولوا بذلك
دون انتشاره في غير المسلمين وخاصة
في الغرب ، وليقعدوا المسلمين عن
التمسك به نظاماً سياسياً واجتماعياً
وفردياً ، أو يخرجوهم منه ويتسببوا في
دخولهم النصرانية بالتعاون مع حركات
التبشير المسيحية . وعلى كل فإنهم إذا
أخفقوا في هذا فإن غاية جليلة تتحقق
لديهم وهي تشكيك شباب الإسلام

من حل معضلات الكتب العلمية
العميقة . وعرض المستشرقون بأساليبهم
المعهودة ودسوا في الدسم وحرفوا وغيروا
الكلم عن بعض مواضعه وتجاهلوا حقائق
باهرة كثيرة غزيرة فلم يوردوها . . . !! ؟

٥ - عقد المستشرقون مؤتمرات
للمدرسة وتبادل الخبرات فيما يحقق
أهدافهم ، ولا زالوا يعقدونها باستمرار ،
وكان أولها في باريس سنة ١٨٧٣ م .

٦ - ان ذروة النشاط الاستشراقي إنشاء
كليات وأقسام للدراسات الإسلامية في
جامعات الغرب ومنح الشهادات العالية
(الماجستير والدكتوراه) لطلاب شعوب
العالم الإسلامي في العلوم الإسلامية .
فاستغل المستشرقون بذلك تلهف الشرق
الى الشهادات والألقاب^(١) ، فصيروا
أنفسهم مصدراً وثيقاً للعلوم الإسلامية
وأشعروا بعض المسلمين بهذا لهم حتى
في علوم دينهم وأفقدوهم الثقة بأنفسهم ،
اذ تعلقوا بتعلم العلوم حتى علوم دينهم من
عدوهم . . . !! ؟ لقد حقق هذا اللون من
النشاط غاية ما تصبو اليه أنفس

(١) انظر أجنحة المكر الثلاثة ص ٨٧/٨٨ و ٩٩/٩٨ .

كما طعنوا في ثبوت السنّة النبوية ومعانيها .. وذلك ليفقد المسلم الثقة بها ويخرج من دينه ، فيهون شأن المسلم وأثره ، ويخوض في لجج الضياع ويسلس مقادته لكل ناعق عميل للغرب .. وهذا غاية مساعي الاستشراق المرتبط ارتباطاً وثيقاً بالتبشير والاستعمار .

ومن مخططاتهم تبديد رجولة المسلمين بفتح أبواب الغواية والفساد الجنسي .. وكان لهذا من ميدانهم مدخل حساس خطير وهو حقوق المرأة المسلمة وحجابها .. فصدر الحديث منهم ومن عملائهم عن تحرير المرأة واختلاطها بالرجال وعن تاريخ الحجاب وزعمهم عدم ثبوته في القرآن ، وأنه من تقاليد العباسيين وتكلموا عما أسموه نظام الحريم ... !!

وهاجموا التشريع الإسلامي .. وقد وجدوا عظمة مزاياه فزعموه مقتبساً عن الرومان ..

بدينهم وإخراجهم عنه فليسوا مسلمين ولا مسيحيين . وقد صرح المبشرون برضاهم التام عن تحقق ذلك في بعض مؤتمراتهم^(١) .

٢ - انصبت مطاعنهم وشبهاتهم بتركيز قوي على القرآن والسنّة لأنهما المصدران الأساسيان للإسلام عقيدة وشريعة . كما انصبت بنفس التركيز على سيرة النبي الكريم صلى الله عليه وسلم ، ولكن ليس لدراسة أحداثها وإحقاق الحق فيها ، إنما من وجهة اعتقادية بحتة .. فما يوردون الحوادث إلا لتوجيه الطعن في نبوته صلى الله عليه وسلم من خلال تفسيراتهم أو تحريفاتهم .

فإن المسلم إذا شك في نبوة رسول الله محمد صلى الله عليه وسلم خسر لهفته الى التمسك بالدين ، وغدا مذنباً حائراً تائهاً .. !!

وكذا أرادوا من الهجوم على القرآن بطعنهم في ثبوت نصه وفي معانيه ...

(١) التبشير والاستعمار .

ونعرات كالقومية العربية والفرعونية . . .
كما عنوا بإثارة النزعات العرقية القومية
عنوا أيضا بالإقليميات والعصبيات
والنعرات الأخرى . . مثل عنايتهم
بالفرق الباطنية وأقليتها . . كالدروز
والنصيرية وسائر فرق الشيعة
الباطنية . . . وعنوا بالخلافات الدينية
المذهبية . . الخ .

وفي صميم مخططهم شن الغارة على
التاريخ الإسلامي بتأويل صفحاته
البيضاء تأويلاً سخيلاً يذهب بروعتها من
ذهن القارئ الساذج . ولا يعرضون من
تلك الصفحات الناصعات إلاّ القدر
الوجيز ، ثم يفيضون في تفاصيل
الفتن . . ويصبّون الدسائس والتهاويل
فيها بغير مكيال . . !!

وتم لذلك كله الدعم القوي
والدعاية الواسعة ، لتوطيد ما يخالف
الإسلام من أفكار ومعتقدات ومبادئ
وقيم وأخلاق وعنصريات ونعرات . .
لتكون شوكة مقلقة في جنب الإسلام ،
وعائقاً دون انتشاره وتثبيت أبنائه
بتطبيقه . وهذا المخطط يخدم
الاستعمار ويتلاقى مع مخططه في نشر ما
يحارب الإسلام من أفكار ونظم كالقومية
والإشراكية والوجودية . . لتتآزر معاول
التخريب في هدم بنيان الإسلام .
﴿ يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم والله
متم نوره ولو كره الكافرون ﴾ (١) .

٣ - التوسع في الحديث عن كل ما
يتصل بالشرق في حاضره وتاريخه مما
يتنافى مع الإسلام عقيدة أو شريعة ،
وخاصة إذا كان يؤدي الى تمزيق وحدة
الأمة الإسلامية وانقسامها . فجرى
التوسع في الحديث عن الجاهلية مع
إكبار شأنها وقلب كثير من مساوئها مزايا
وفضائل . . للإيهام بأن الإسلام قبيح
منها ، وأحياناً أخرى لإنعاش فكرة
القومية العربية بإيجاد مرتكز فكري
وتاريخي لها . كما ترى البحث المفصل
عن الأقليات الجنسية والدينية . . وإثارة
مبدأ القومية وما يتضمنه من مخاطر

الحديث) (١) كما استخلص استاذنا العلامة الدكتور مصطفى السباعي جوانب من منهج المستشرقين ومتابعيهم في الدراسات الحديثة في كتابه القيم (السنة ومكاتها في التشريع الإسلامي) (٢).

انه لا يكاد يخلو كلام مستشرق من الزعم بأنه يلتزم البحث العلمي الموضوعي والحياد فيه .. أو أنه رجل مؤرخ . يبغي الحقيقة لوجه التاريخ . . (كذا) !! أو أنه رجل متدين موحد يدعو إلى وحدة الأديان وتعاونها . . . !! ولا تجد شعاراتهم هذه إلا أحابيل الأباطيل !! .

لكنك تجد بصورة عامة منهج المستشرقين المغرضين قد امتاز عن منهج البحث العلمي المعقولة المقبولة بما يلي :

١ - وضع النصوص في غير مواضعها وتحميلها ما لا تطيقه ألفاظها ولا تدل عليه معانيها .

اختلال مناهج البحث الاستشراقي

وتحديد مناهج المستشرقين في البحث غير ممكن إلا باستخلاصه من مطالعات طويلة لكتاباتهم . فإنهم لم يحددوا لأنفسهم منهجاً يناقشهم فيه أو نقاضيهم اليه ، فلا تجدهم أعلنوا عن منهج عام في البحث العلمي وطبقوه ولا عن منهج خاص بعلم من العلوم .

لكننا نجد نتيجة لمطالعاتنا تأليفهم ومطالعات من سبقنا من أهل العلم ، نجد للمستشرقين منهجاً خاصاً في كل علم من العلوم . . ففي الدراسات القرآنية لهم منهج مشترك بينهم لا يزال قدوتهم في تطبيقه أستاذهم «جولدتسهر» ولسوف نكشف عن استخلاصنا إياه في كتاب (أحرف القرآن وقراءاته) الذي ندعو الله أن ييسر نشره قريباً . وتقدم شقيقنا العلامة المحدث الدكتور نور الدين عتر بنقد منهج المستشرقين في علوم الحديث وكشف عن اختلال منهجهم علمياً من عدة وجوه ، وذلك في كتابه القيم (منهج النقد في علوم

(١) تجد ذلك في ص ٤٤٥ وما بعدها وفي مواطن أخرى . (٢) انظر ص ٤٤/١٢ ومواطن أخرى .

٧- المغالطة في المناقشة العلمية
وفي فهم النصوص .

٨- تحريف دلالات الوقائع التاريخية
والانحراف في تعليلها ، ويتم لهم ذلك
أحياناً بتحكيم مفاهيم البيئة
الغريبة- على الرغم من فسادها- في
تفسير النصوص والوقائع التاريخية ،
ومن ذلك تعليل روائع الفتح الإسلامي
المجيد ومزاياه ببواعث ورغبات
« خيالية » مماثلة للنزوات الاستعمارية
الغريبة . وما أكثر ما يقترفون ذلك
بالتفسير المادي السمج في معظم مزايا
الإسلام ودلائله وبراهين عظمته وسيرة
نبيه الكريم عليه أفضل الصلاة وأتم
التسليم .

٩- إيراد مقدمات جزئية ضعيفة ثم
ابتناء نتائج ضخمة فضفاضة لا تتناسب
مع تلك المقدمات ولا تنتج منها . وربما
يدخل في هذا إطلاقهم الأحكام العامة
بسبب بعض الحوادث الفردية في
المجتمع الإسلامي . ويدخل فيه
محاولتهم ابتناء نتائج حتمية على
مقدمات محتملة توهماً ولا دليل على
حصولها أصلاً ، كما سترى في مزاعمهم

٢- تحريف النصوص الإسلامية ،
كما فعل المستشرق اليهودي
« جولدتسهر » في زعمه أن أحاديث قراءة
القرآن على سبعة أحرف هي قرارات
عمر بن الخطاب . .

٣- اعتمادهم أقوالاً باطلة ردها علماء
الإسلام بدلائل علمية حاسمة ؛
وتجاهلهم تلك الدلائل !! بل
ينسبونهم - أحياناً - إلى العلماء الذين
ردوها على أنها آراءهم المعتمدة « وقد
فعل ذلك جولد تسهر » .

٤- إقتطاع فقرة من نص علمي
للاستدلال به على غرض خبيث ؛
ينقضه النص لو تم إيراده كاملاً !!

٥- إغفال الحقائق التي تخالف
استنتاجاتهم وتدحضها ، على الرغم من
اطلاعهم الأكيد عليها ، بدلالة قرائن
كثيرة في نفي البحث الذي يقدمون فيه
تلك الاستنتاجات .

٦- تعمد إساءة فهم النصوص
وتوجيهها الى غير دلالتها ، وصرح بذلك
الأستاذ الدكتور فؤاد سزكين في نقده
« جولد تسهر » .

المستشرقين اليهود والملاحدة غليلهم
بصد الناس عن الإسلام . والجميع على
تخوف أن يدركهم المد الحضاري
الإسلامي في بلادهم ويغلبهم على
أمرهم بإيمان مواطنيهم به !!

٢ - تحويل المسلمين عن دينهم ،
وإشاعة البلبلة الاعتقادية والفكرية في
صفوفهم .. لتصير بلادهم لقمة سائغة
للغرب ، ويصير المسلمون أتباعاً له
خاضعين لسلطانه . وأقل مطمع
للغربيين أن تعينهم دراسات الاستشراق
على إضعاف العالم الإسلامي بحيث لا
يقدر أن يمنع عنهم المواد الخام
كالمعادن والطاقة والمواد الزراعية ..
مما يحتاجه الغرب حاجة ماسة .

ويلتقي الهدف الديني بالهدف
الاستعماري من الدراسات الاستشراقية
في نقاط كثيرة .. منها اعتقاد النصارى
في الغرب بعودة المسيح الى
فلسطين .. فتمزيق الإسلام وطحن
المسلمين ييسر له مهمته في نظر الدهماء

عن الوحي .

١٠ - انهم يعولون في تواليهم على
مصادر ليست في مستوى البحث
العلمي ، إنما هي كتب تندر وتفكه أو
تذوق أدبي مثل كتاب الأغاني لأبي
الفرج الأصفهاني أو كتاب الحيوان
للدميري الخ . وربما يكون
مؤلف بعض هذا النوع من الكتب مبتدعاً
تحمله بدعته على الطعن في أئمة
الإسلام ، فيفترض المستشرقون كلامه
ويتخذونه عمدة في أبحاثهم
وحجة - دون دليل - على أن آراءهم
مصبية في البحث العلمي !!^(١) .

أهداف المستشرقين

ومن مطالعة آراء المستشرقين
وأعمالهم أقدم هذه المحاولة في تحديد
أهم أهدافهم :

١ - منع انتشار الإسلام في أوروبا
وغيرها ، حفاظاً على سلطان الكنيسة
ومغانمها .. ويروي أعداء الإسلام من

٤٣٧/٤٥٥ ومواضع أخرى ، وفي كتابنا « أحرف
القرآن وقراءاته » .

(١) هذا مجمل المآخذ وكثير من تفاصيلها مع دلائلها في
كتاب « منهج النقد في علوم الحديث » ص

المتقدمين الواردة في الكتاب والسنة وكتب علم الكلام . ويتعرف الباحث على ذلك بالدراسة المقارنة .

وهذا لا يعني أن الفكر الكنسي الغربي قد تخلص عن جميع آفاته بل انه لا يزال يعول على ما نسميه : العقيدة الاحتياطية ، وعقيدتهم الاحتياطية هذه تتلخص في زعمهم : بأن العقيدة الدينية قضايا فوق العقل ، فالتسليم بها واجب ومناقشتها بالدلائل محظورة . وذلك تخلصاً من نقاش عامة النصارى للأسس والعقائد الكنسية المنافية للعقل والعلم ، كالتثليث ونحوه .

٤ - يؤدي الاستشراق خدمات جليلة للاستعمار ، فانه بغير شك مصدر هام من مصادر الغزو الفكري . لقد مكّن الاستشراق الغرب من اتخاذ صنائع وعملاء في البلاد الإسلامية ، بواسطة الجامعات والمدارس التي افتتحتها دول الغرب في الشرق وأشرف على توجيهها مستشرقون ومبشرون . ولم يكفهم ذلك حتى افتتحو أقساماً للدراسات الإسلامية

عندهم . وهذا من عوامل تأييد الشعوب الغربية لسياسة اسرائيل الاستعمارية العدوانية !!

٣ - إقتباس أفكار إيمانية من الإسلام لثبيت أقدام الكنيسة في بلادها بفكر ديني معقول . فقد نفر الأوروبيون وغيرهم من المنطق التافه المنافي للعلم الذي تدعوه به الكنيسة الى المسيحية . فدأبت الكنيسة على إيراد أفكارها الإيمانية بدلائل معقولة ، قللت فيها من الاعتماد على صرف نظر المناقشين بأن المسألة المطروحة من أسرار الكنيسة . فأضحت إجابات رجال الدين النصارى اليوم تنسف مفاهيم كنسية قديمة كثيرة . - وذلك في مسائل القضاء والقدر كلزوم التداوي من الأمراض . . . واختيار الإنسان في أعماله الإرادية . . وفي مسائل الإيمان عامة كالإيمان بوحدة الكون ووحدة نظامه في الأرض والأجرام السماوية^(١) . وسلك رجال الكنيسة في إيراد الدلائل العقلية على الإيمان بالله كثيراً من مسالك علماء الإسلام

(١) انظر شمس العرب تسطع على الغرب - زيفريد هونكه ص ٢١٥ ومواطن أخرى .

٥ - جعل الدراسات الاستشرافية مصدراً لتعليم الإسلام للمسلمين أنفسهم ومصدراً للدراسات عن الشرق عامة . حتى صارت دراسة تاريخه والتاريخ الإسلامي والعلوم الإسلامية كلها ، وحتى دراسة اللغة العربية وفقهها وآدابها ولهجاتها . . . صارت دراسة ذلك كله متوافرة في جامعات الغرب على طريقة الاستشراق . وفي هذا حمل للشرق على إكبار شأن الغرب وتعظيم حضارته وتمكين سلطانه في الشرق عقائدياً وفكرياً وتشريعياً وأخلاقياً واجتماعياً . ويؤدي بالتالي إلى إفقاد الشرقي الثقة بنفسه وتوريطة في احتقار ذاته وأمته ، حتى فت في عضد هذه الأمة بغضها الأهل وحب الغرباء ، على حد قول الشاعر .

والعجب كل العجب من انبهار بعض المسلمين بدراسات المستشرقين وتوليتهم الثقة الكاملة في أبحاثهم ، لتوهمهم إنشاءها على الموضوعية العلمية والحياد والإنصاف في البحث ابتغاء الحقيقة . . !! لقد غفل هؤلاء المخدوعون أن اليهود والنصارى

والشرقية في جامعاتهم في الغرب . . وحفوا بالمغريات انتساب الشرقيين عامة والمسلمين خاصة إليها ، وراحوا يمنحون الشهادات العالية « الماجستير والدكتوراه » ووجد جنون الشرق بالشهادات مرتعاً في الغرب يرتمي اليه . . وعرف الغربيون ذلك فأجادوا استغلاله . . فأخذوا عقائد ونفوس وأخلاق الشباب المسلمين وغير المسلمين ، وأوثقوا عقول كثير منهم بعجلة الغرب فلا يقولون الا ما يرضي سادتهم وأسادتتهم هناك . . !

أما ما يروى من استغلال بعض الطلاب المسلمين في الغرب من ناحية حاجتهم المالية ، أو إيقاعهم فريسة الشهوة الجنسية واحتفاظ بعض الجهات الرسمية بصور وأفلام لهم عن مزاولتهم الفواحش . . واتخاذ ذلك وسيلة استدلال لهم لدى عودتهم الى بلادهم بتخويفهم من نشرها وفضحهم في بيئات الشرق الإسلامية ، ولاستخدامهم للأغراض الاستعمارية . . الخ ، فانا سندع الآن الحديث عن هذا ، فلسنا بصدد التحقيق فيه ، أو التثبت منه .

- ومعظم المستشرقين منهم - قد حرفوا دينهم وعبثوا به وكتبوا منه وأضافوا إليه ما شاءت لهم أهواؤهم^(١) فلم يكونوا في لحظة من لحظات تاريخهم أمناء عليه !!

فكيف يغدون أمناء على دين خصومهم ! ؟ وهذا الدين الإسلامي هو الذي يخافون امتداد سلطانه إلى بلادهم ! ولولاه ما قام لهم في تاريخ الشرق خصم أبداً ولا طرق أبواب أوروبا جيش فاتح اطلاقاً !! ؟

لكن الطلاب النابھين عادوا من جامعات الغرب وأكدوا أنهم لم يستفيدوا علماً إسلامياً من أساتذة الاستشراق ، إنما عولوا على جهودهم وتكوينهم العلمي السابق في بلادهم . لكنهم أتقنوا في الغرب اللغة الأجنبية ، وعرفوا نوايا القوم وأساليبهم عن كثب نحو اسلامهم وأقوامهم على وجه التأكيد !! واطلعوا على أقوالهم وأعمالهم وعلى

وصاياهم لأقوامهم في حرب الإسلام - مما لا ينشر عالمياً ولا يصلنا الى الشرق - وأكدوا أن بعض هؤلاء الاساتذة هم من رجال المخابرات .

ويكفي في هذا المقام أن نورد كلمة قيمة من كتاب قيم :

(وسقطت معظم الجامعات المنشأة في بلاد المسلمين ، تحت الأيدي الخفية للاستشراق والتبشير والدوائر الاستعمارية ، وغدت خططها ومناهجها تخضع بطريق غير مباشر لما تفرضه وتمليه هذه الأيدي الخفية ، وغدت الكنيسة الغربية تفخر بأن العلوم الإسلامية والعلوم العربية تدرس على طريقته التي تخدم أغراضها في بلاد المسلمين ، وبأن المشرفين على تدريس هذه العلوم من تلامذة أبنائها . وأي انتكاس أقبح من هذا الانتكاس ، أن يتعلم المسلمون دينهم

(١) قال الله تعالى : ﴿ أفطمعون أن يؤمنوا لكم وقد كان فريق منهم يسمعون كلام الله ثم يحرفونه من بعد ما عقلوه وهم يعلمون ﴾ البقرة : ٧٥ وانظر النساء : ٤٦ والمائدة : ١٢٠ و ١٤ وقال الله تعالى : ﴿ ان الذين يكتُمون ما أنزل الله من الكتاب ويشترُونَ به

ثمناً قليلاً أولئك ما يأكلون في بطونهم الا النار ولا يكلمهم الله يوم القيامة ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم ﴾ البقرة : ٧٤ وانظر البقرة : ٤٢ و ١٤٦ و ١٥٩ - ١٦٠ وآل عمران : ٧١ والمائدة : ٧٧ والتوبة : ٣٤ .

أيقظها - وتمزقت الأمة الإسلامية أشلاء متناثرة هنا وهناك في دويلات تقوم بينها الخلافات والمشاحنات لاختلاف النظم والمبادئ والمناهج السياسية والاجتماعية والاقتصادية ، وخاصة بعد اشتداد عزائم الأذنان على إثارة الفتن الطائفية والدعوات القومية .. وهكذا تمزقت الأمة الإسلامية دويلات دويلات .. وكل منها يعاني داخلياً من مطاحنات وخلافات داخلية .. وهكذا هان على ضباع الاستعمار الغربي انتهاش كل شلو من جسد الأمة الإسلامية دون أن تبدي مقاومة مجدية . فتم اقتسام الرجل المريض . وقع ذلك كله وأذنان الاستشراق والتبشير والاستعمار يزدون الطين بلة ، ويزعمون أن ذلك نتيجة التمسك بالدين وأن علينا أن نبحث عن مناهج لا دينية تجمع الأمة الإسلامية والعربية .. وتعاموا عن السبب الرئيسي الحقيقي في هذا الدمار ، وهو الإغراض عن حقائق الدين والمروق منه ، وإدخال العصبية القومية والطائفية والمطامح الشخصية والعرقية واستغلال الإسلام

ولغاتهم ، وفق طرائق أعدائهم وأعداء دينهم ، ووفق دسائسهم وتشويحاتهم وتحويراتهم وأكاذيبهم وافتراءاتهم . هل يقبل اليهود والنصارى أن يتعلموا أصول دياناتهم وفروعها على أيدي علماء المسلمين ، وأن يأخذوا منهم الشهادات لذلك ؟

فما بال المسلمين يسقطون في هذا الانتكاس المشين ؟ إنَّ الاستعمار المادي أهون من هذا اللون من ألوان الاستعمار ، الذي وصل الى القاعدة الكبرى التي تقوم عليها الأمة الإسلامية ، وهي قاعدة دينها وعلومها المتصلة بهذا الدين (١) .

٦ - تحطيم الوحدة الفكرية : بإيجاد البلبلة بإحياء الخلافات الفكرية للفرق - والباطنية منها خاصة - والمذاهب المتطرفة . فان قويت الآراء والتفسيرات المتناقضة وهاجت العصبية لمناصرة كل فئة من المسلمين ما كانت توارثته من قبل - دون إعادة نظر واعتدال - أدى ذلك الى إيقاظ الفتن النائمة - لعن الله من

(١) أجنحة المكر الثلاثة - الشيخ عبد الرحمن الميداني ص ٨٨ .

بتأويلات غير معقولة ولا مقبولة .. حتى
تحقق للعدو كثير من أهدافه !!

٧ - تمزيق الوحدة اللغوية في الأمة
الإسلامية :

فالاتهام منصب على اللغة العربية
بواسطة عملاء الاستشراق ؛ بأنها لا
تستطيع أن تساير موكب العلم الحديث
والحضارة المعاصرة .. ! ومعلوم لدى
دارسي العربية أنها أقوى لغات العالم في
توليد الألفاظ والكلمات اللازمة للمعاني
المستخدمة .. بالنحت والاشتقاق ..
الخ .

ونشط المستشرقون في الطعن في
حيوية اللغة العربية بأساليب كثيرة ، منها
مزاعمهم الكثيرة في اقتباس كلمات
عربية من لغات قديمة .. وإذا كانت
الكلمات دينية مثل كلمة (قرأ - قرآن -
التحنت والناموس ...) أصابوا في
عزوها الى لغات أخرى هدفين : أولهما
ديني : وهو زعمهم اقتباس النبي محمد
صلى الله عليه وسلم دينه من الأديان
الآخرى ومن قوانين الرومان ، وثانيهما
لغوي : وهو جمود اللغة العربية وعدم

تلبيتها مطالب الناطقين بها !! زد على
ذلك طعنهم في عسر تعلمها .. وما
واكب ذلك من دعوة إلى اللغات العامية
لكل قطر عربي .. وإلى اللغات القومية
لكل جنس . حتى انتشرت اللغة
الأوروبية والفارسية والتركية الطورانية
وقويت اللغة الكردية .. وقد صحب
ذلك كله الدعوة إلى الكتابة بالحروف
اللاتينية . مع أن هذه اللغات كانت
متداولة - إلى جانب العربية - في مستوى
محدود ، لكن بالحروف العربية ..
فأتمت أبواق الاستشراق والتبشير
والاستعمار نشرها وتعميمها وأحلتها
محل العربية ، وسلختها عن الاتصال بها
بالحرف والخط ، حتى صارت الكتابة
بالحروف اللاتينية دأب الأتراك حفدة
الخلافة العثمانية ، ولا حول ولا قوة إلا
بالله العظيم ..

ولا يخفى على كل باحث أن هذه
اللغة من أهم عوامل وحدة الأمة - كما هو
مقرر في علم الاجتماع . فضرب وحدة
اللغة ضرب لوحدة الأمة . أما بالنسبة
للغة العربية فإنّ ضربها أشدّ خطراً من
ذلك . فهي عامل وحدة بين الشعوب

تحفل صفحات تاريخها بالأمجاد والمآثر والمفاخر . . تورث أبنائها اعتداداً بالذات لا يحظى به أبناء الأمم الأخرى ، ومن هنا عمدت بعض الدول إلى تحسين عرض تاريخها وتفسير حوادثه حفزاً لهمم مواطنيها الى صنع الأمجاد من جديد .

انطلق أساتذة الاستشراق في دراسة تاريخ الإسلام إلى الصفحات البيضاء المجيدة الناصعة فطووها أو تعرضوا لها بوجيز القول . وكلما اضطرتهم الظروف إلى سرد شيء من أمجاد الإسلام اخترعوا له تفسيراً مادياً سمجاً للتغطية على روعته وعظمته . وانطلقوا الى الإسهاب والتفصيل في عرض الخلافات والفتن والمحن وأضفوا عليها من تفسيراتهم ما يزيد الطين بلة . وتغاضوا - عن عمد - عن الإشارة الى الدور الذي أداه في ظلام الفتن الطابور الخامس من زنادقة المجوس واليهود والنصارى . فقد حقد هؤلاء على الإسلام حقداً أسود بعد أن قهروا عسكرياً وفكرياً وسياسياً واجتماعياً ورأوا شعوبهم تدخل في دين الله أفواجاً أفواجا . ولم يجد هؤلاء سبيلاً للطعن في الإسلام وأمته سوى

الإسلامية ، وهي عامل تعلمهم الإسلام ووحدتهم فكرياً واعتقادياً واجتماعياً وشعورياً بروابط الأخوة الإسلامية . . . لكن غفلة المسلمين وضعفهم وقوة شكيمة عدوهم ومعونة بعض أبناء الأمة الإسلامية عدوهم على تحقيق هذا الغرض قد أدى بالأمة إلى خسرتها وحدة اللغة . ولا ننسى أن كتاباً وأدباء كباراً قد تبنا الدعوة الى اللغة العامية . . ومنهم طه حسين في مطلع عهده بالكتابة والتأليف ، وغيره كثير . ثم وهنت هذه الدعوة بعد أن انكشفت أغراضها وبواعثها ، كما انكشف إخفاقها وعظيم أضرارها !

٨ - إضعاف الشخصية الإسلامية :

والدراسات التاريخية أخطر سلاح يحقق إضعاف شخصية المواطن . فالتاريخ هو شخصية الأمة . وقد كشفت دراسات علم الاجتماع في الشعوب الافريقية الوثنية ، أنها لا تشعر بذاتية قوية بسبب هزال تاريخها ، وأن ميل الكثير من المواطنين للتبعية والتقليد ميل قوي ، وهذا أمر ملاحظ . فالأمر التي

التظاهر بالإيمان به ليتمكنوا من الكيد له والتخريب في الدولة الإسلامية من داخل الجسم الإسلامي .

عرض المستشرقون هذه الصفحات مع تفسيراتهم المغرضة كفتنة عثمان ووقعة الجمل . . . ليوهموا القراء البسطاء أن المسلمين أمضوا تاريخهم في الفتن والتناحر الداخلي ، وعاشوا في البلايا والرزايا ، وأن الإسلام لم يغير في هذه الشعوب شيئاً من أخلاقها ونزواتها الهمجية . . فاستهدفوا الإسلام طعنًا فيه وكيداً له ومكرًا بأبنائه . وكأنه هو المسؤول عما جرى . . . ولم ينوهوا أن مخالفات للإسلام قد وقعت فأدت إلى ما أدت إليه ، لأن ذلك يمنح المسلمين المعاصرين عظات بليغة تدعوهم للتمسك بالإسلام على نهج تمسك الصحابة والأوائل به ، وأن يجتنبوا الأخطاء ويفتحوا أعينهم على الجواسيس والدخلاء من الأعداء !!

لكن الباحث النبيه الواعي لا يغيب عنه أنه يجب أن يضع تلك الفتن بجانب الصفحات البيضاء الوفيرة الكثيرة في تاريخ الإسلام وفتوحه وعدله وتحريره

الإنسانية وتوفير السعادة لها وإخراجها من ظلام الوثنية ومن المبادئ والأفكار السقيمة التي كانت تغلفها الكنيسة بها . . !! فإن المقارنة العلمية بين صفحات المجد والسعادة والعز في الإسلام وبين صفحات الفتن تظهر ضالة شأن هذه الفتن وضرورة أخذ العبر منها ، وتظهر فضل الإسلام على الإنسانية عامة وعلى المسلمين خاصة .

وأسأل المستشرقين أليس في تاريخكم صفحات سوداء فهل تعرضونها بنفس الأسلوب الذي تعرضون به الفتن في تاريخ الاسلام !! ؟

إن صفحات التاريخ الأوروبي متخمة بالمخازي وبالفتن الداميات والحروب الطاحات التي كان مداها عامة الشعب لصالح المتألهين من حكامهم . . ! وتلك المخازي الفظيعة لا تجد لها نظيراً عند العرب في جاهلية ولا اسلام . وانك كلما تقع في تواريخهم على باقة مشرقة !! خاصة في الصفحات الكالحة التي تسبق اتصالهم بالمسلمين وانتعاشهم بالتعلم منهم والاقتباس من مبادئ دينهم وحضارتهم !

٩ - التنفير من العودة الى الخلافة الإسلامية :

وقد غدا هذا غرضاً هاماً ، فالدراسات الاستشرافية التاريخية تنسب لهارون الرشيد وغيره من الخلفاء ألوان المجنون والفسوق .. تنقلها من كتابات غير علمية ، خطتها أيادي خصوم حانقين ..

وكما تنسب هذه الدراسات كثيراً من المخازي المختلفة للخلافة الإسلامية في كافة عصورها ، فإنها تخص الخلافة العثمانية بسيل جارف من التهم .. ! ولكن أين الدراسة العلمية المتفحصة المعولة على الأدلة والوثائق والبراهين ؟ على أن المسلم الواعي لا يعتد بأخطاء بعض الخلفاء لنسف نظام الخلافة وما فيه من بيعة ووحدة في الرئاسة تجمع كلمة الأمة وتوحد صفوفها . ويدرك كل مسلم واع أن الاستشراق والتبشير والاستعمار قد تمالؤا جميعاً على هدم الخلافة العثمانية من وحدتهم التي تقطع نياط قلوب الحاقدين من الساسة وغيرهم في الدول الكبرى وفي كثير من دول العالم .

١٠ - تحطيم معنويات الشخصية الإسلامية بالأساليب الدعائية النفسية ، لايهامها تفوق العنصر الغربي الأري وتدني العنصر الشرقي السامي .. حتى اطلقوا شعارهم العنصري بتكبر وغرور « الشرق شرق والغرب غرب » فرعموا أنهم أهل النبوغ والذكاء والمواهب والعلم والعبقرية والنظام والتعاون .. وأن الشرق ليس أهلاً لذلك !! بل زادوا على ذلك بأن بلادهم صناعية وأن بلادنا الشرقية لا تصلح الا للزراعة .. ابتغوا ان يصير الشرق سوقاً استهلاكية ، تمد السادة الغربيين بالمنتجات الزراعية ، ليتمتعوا بها بأثمان زهيدة ، وحرصوا حرصاً عظيماً على السيطرة في الشرق على المواد الخام والثروات الباطنية ، .. وعلى استغلالها بسرعة بالغة قبل أن يصحو الشرق . وقد غضوا النظر عن استغلال نظيرها في بلادهم .. أدى ذلك الى افتقار الشرق وضعفه واغتناء الغرب وازدياد قوته بصناعاته المدنية والعسكرية . وساعدهم على ذلك الجاؤهم أصحاب تلك الثروات والمواد أن يودعوا فائض أثمانها وأموالهم في مصارف الغرب ، فأعانهم ذلك وغيره

على تطوير صناعاتهم وازدهار تجارتهم مع الشرق فازدادوا قوةً على قوتهم .

وأدى تخطيطهم ان يستهلك الشرق بأثمان عالية جداً المنتجات الغربية « وهي نتاج موارده الخام وثرواته » ليتفاقم فيه الفقر والمرض والضعف والتخلف .. وهناً على وهن ، بينما ينعم الغرب بخيرات الشرق وثرواته ، برفاه وبطر وأشر وتجبر على العباد !!

وترسخ هذه الاساليب والخطط عقدة الشعور بالنقص في الشرق المقهور عسكرياً ، ليشعر بالتدني في كل شيء شعوراً يمكن الأجانب ان ينهبوا خيرات البلاد ، ويتخذوا لهم صنائع وعملاء من العباد !! ﴿ والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون ﴾^(١) .

اختلال منهج المستشرقين في السيرة النبوية .

١ - ان الشرط الأساسي لكل باحث في كل بحث هو سلامة القصد وإرادة الحقيقة لذاتها ، والإفادة منها مهما كان

وضعها بالنسبة للنظريات الراسية سابقاً في ذهن الباحث . فإذا فقد هذا الشرط وعكف الباحث على الدراسة تأييداً لأفكار سابقة أو حقداً على أفكار أخرى فقد ضاع جهده ، وخاب درسه ، وضل سواء السبيل ، وخسر احترام الذين يعقلون . وأنت رأيت أن للمستشرقين دوافع وبواعث معينة .. ولمعظمهم أهداف جنائية مكشوفة في حنايا أبحاثهم ... لذا تجدهم على الرغم من تيسر معرفة الدين الإسلامي على حقيقته قدموا أبحاثاً متخمة بفواحش الأخطاء ، ليظهروا سيرة محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم على صورة منافية لما أثبتته الوثائق التاريخية . وقد كشف المستشرق المسلم « الكونت هنري دي كاستري » سبب ذلك في كتابه « الإسلام : خواطر وسوانح » اذ قال : (من المحقق أن الاختلاط بين المسيحيين والمسلمين سهل للمنشدين معرفة الدين المحمدي على حقيقته ، ولكنهم ما كانوا يقصدون الحقائق التاريخية في أناشيدهم بل حفظ روح

(١) سورة يوسف : ٢ .

المسلمين فعبروا عن ذلك . قال الدكتور « سنوك هرغرنجه » : (إن سير محمد الحديثة تدل على أن البحوث التاريخية مقضي عليها بالعقم اذا سخرت لأي نظرية أو رأي سابق) .

استشهد المستشرق المسلم « ناصر الدين - ايتين - دينيه » بالنص السابق ثم عقب عليه في كتابه القيم « الشرق كما يراه الغرب » بقوله : (هذه حقيقة يجمل بمستشرقي العصر جميعا أن يضعوها نصب أعينهم ، فإنها تشفيهم من داء الأحكام السابقة التي تكلفهم من الجهود ما يجاوز حد الطاقة ، فيصلون الى نتائج لا شك خاطئة .

فقد يحتاجون في تأييد رأي من الآراء الى هدم بعض الأخبار ، وليس هذا بالأمر الهين ، ثم الى بناء أخبار تقوم مقام ما هدموا ، وهذا أمر لا ريب مستحيل ...) (٢) .

٢ - لا ريب أن دراسة أي شخصية أو مذهب يجب أن تكون مبنية على اعتبارات

البغضاء في نفوس قومهم) .

فلم يزل هذا الروح سائدا عند المسيحيين حتى أن المستشرق « بريدو » الانكليزي ألف سنة ١٧٣٣ كتاباً في سيرة النبي عنوانه « حياة ذي البدع محمد » وترجمه بعضهم الى لغتنا ، وجعل له مقدمة بين فيها مقصد المؤلف فقال : « ان غرض واضع هذا الكتاب هو خدمة المقصد المسيحي الحكيم » .

(أولئك كتاب ما قصدوا التاريخ ، ولكنهم أرادوا خدمة المقصد المسيحي الحكيم ، كما يقولون ، وكان سلاحهم الوحيد في تأييد سواقط حججهم أن يشبعوا خصمهم سباً وشتماً ، وأن يحرفوا في النقل ما استطاعوا) (١) .

شاعت فضيحة التناقض التام بين السير التي كتبها المغرضون من المستشرقين وبين الواقع التاريخي لرسول الله محمد عليه الصلاة والسلام ، حتى أدرك الإنصاف بعض المستشرقين غير

(٢) محمد رسول الله - ايتين دينيه - مقدمة الدكتور عبد الحليم محمود ص ٥٦/٥٧ .

(١) محمد رسول الله - مقدمة الدكتور عبد الحليم محمود ص ١٥ .

حسب جنسية الكاتب ، ويظهر فيها المنطق الغربي العصري ، لذا تجدها جميعاً صوراً خيالية وهمية أبعد ما تكون عن الحقيقة . فلم يكن المستشرقون في تصويرها غير منافسين لكتاب القصص التاريخية الخيالية التي يؤلفها الكاتب للتسلية في الغرب مثل « والتر سكوت » و« اسكندر ديماس » .

وناقشت المستشرقين في إغفالهم فوارق الزمن والبيئة الاجتماعية . . . لدى زعمهم إكثار الرسول الأسفار الى بلاد الشام وتلقيه العلم من أهل الكتاب فيها ، حسب توهمهم بغير دليل ، بل قامت الدلائل على خلاف ذلك .

ان المستشرق « جريم » في كتابه « محمد » قد حدث به موجة الإستراكية المعاصرة وتطلع أهل بيئته إليها الى الزعم بأن الاشتراكية دفعت محمدا الى وضع الدين الإسلامي . . ؟؟؟ واستدل على ذلك بفريضة الزكاة وتخبط في الحديث عنها بين مكة والمدينة بشكل فاضح^(١) .

البيئة والزمان وطباع وعادات الناس الذين تنتمي اليهم وظروف اقليمهم ، وأن تكون مرتكزة على الوثائق التاريخية مصونة من جموح التصورات والخيالات المتنافية مع تلك الوثائق والاعتبارات . وعلى الرغم من اعلانات المستشرقين عن شعاراتهم البراقة الجذابة مثل زعمهم : اتباع أساليب النقد الحديثة ، والتزام الموضوعية ، والحياد ، وقوانين البحث العلمي الجاد ، والحرص على البحث العلمي المدقق ، والقيام بالبحث في إطار تاريخي محقق بعيد عن العصبية الدينية وغيرها ، - على الرغم من إعلان هذه الشعارات فان القارئ يرى للرسول صلى الله عليه وسلم في كل كتاب صورة مغايرة لما في غيره ؛ خاصة اذا اختلف المؤلف زمناً أو جنسية . فالمؤلف الانكليزي يعطيك صورة عن محمد صلى الله عليه وسلم وأصحابه متفقة مع التصور والمنطق الانكليزي في الأقوال والأعمال والأهداف ، والمؤلف الألماني يقدم الصورة متطابقة مع المنطق الألماني والبيئة الألمانية وهكذا . الخ . اذاً تتغير الصورة

بالإشتراكية ، وانما يتوجب عليهم اظهار تميز الإسلام وإلهية مصدره واحتوائه على العدالة في =

(١) ومن المؤسف أن بعض كبار الكتاب الاسلاميين قد زلت أقدامهم في هذا المنزلق . فوصفوا الإسلام

نظر الباحث الى المنقول في السيرة النبوية أو الى ظروف البيئة العربية يومئذ . وهذا ما احتج به « سنوك » في نفس تطرفه . فالاسلام منشؤه ديني بحث وليس مادياً اشتراكياً كما زعم « جريم » معرضاً عن دلائل العقل والنقل .

وجمحت نزعة الإغراب والتطرف في المستشرق المتحامل « مرجليوث » فأراد أن يقدم رأياً يتناسب مع عجائب أوروبا في القرن العشرين ، فزعم أن الباعث على بعثة الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم انما هو الشعوذة . وأنه تعاطى أعمال السحرة والروحانيين ، وعقد للروحانيات جلسة في دار الأرقم ، وألف أصحابه حوله جمعية سرية تشبه الماسونية ، واتخذوا إشارات تعارف ، مثل (السلام عليكم)

وقد انتقد المستشرق « سنوك هرغرنجه » كتاب « جريم » وقال في نهاية نقده :

(اننا نرى أن الاستاذ جريم لو اقتصر على درس السيرة النبوية القديمة وبحثها في عمق لكان أفضل ، وإن الثمار التي كان يمكن أن يجنيها من مثل هذا الدرس لهي أجدر ببلوغ الغاية التي توخاها ، ولكنه ظن أن هذا عملاً ليس له أهمية كبيرة ، وأراد أن يطرف الناس بنبأ جديد ، ففشل في وضع السيرة النبوية التي حاول فيها أن يطبع محمداً بطابع الروح الاشتراكي ، وفي جعل محمد اشتراكياً ، وفي أن تقود الاشتراكية نفسها محمداً لأن يضع الدين الذي أتى به)^(١) .

لا جرم أن رأي « جريم » ينهار تماماً إذا

يسهل اقناعهم بأنه من وضع بشري ، لا صلة له بالله تعالى ، كما وضع الظلم الاشتراكية المعاصرة اناس آخرون ؟! فتأمل ما يحمله زعم « اشتراكية الإسلام » من خطأ فاحش وجناية على الاسلام ، دونما قصد ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم .

(١) محمد رسول الله - ايتين دينيه - مقدمة الدكتور عبد الحليم محمود ص ٤٣ .

= جميع تشريعاته ، ومنها التشريعات الاقتصادية ورعاية الفقراء ونصرة الضعفاء لتتجلى ذاتية الإسلام واستقلاله في منهجه الاعتقادي وعدالة نظامه الاقتصادي والاجتماعي وسموه الخلقي ، ولا غرو فانه تشريع الحكيم الخبير .

ومن هنا ندرك أن لصق الاشتراكية بالإسلام هدف استشراقي للظعن في الإسلام وتفسير الناس منه ، وخاصة الذين يكرهونها من جماهير الغربيين ، وسرعان ما تسهل اثارهم بذلك ضد الإسلام ، كما

الأوروبيين في عالم من أقصى الصين يتناول المتناقضات التي تكثر عند مؤرخي الفرنسيين ، ويمحصها بمنطقة الشرقي البعيد ، ثم يهدم قصة الكردينال « ريشيلو » كما نعرفها ، ليعيد إليناريشيلو آخر له عقلية كاهن من كهنة بكين وسماته وطباعه ؟

إن مستشرفي العصر الحاضر قد انتهوا إلى مثل هذه النتيجة فيما يتعلق برسمهم الحديث لصورة الرسول ، ويخيل الينا أنا سمعنا محمداً يتحدث في مؤلفاتهم : اما باللهجة الألمانية ، واما باللهجة البريطانية ، واما باللهجة الفرنسية ، ولا تتمثله « قط بهذه العقلية والطباع التي ألصقت به » يحدث عرباً باللغة العربية . إن صورة نبينا الجليلة التي خلفها المنقول الإسلامي : تبدو أجل وأسمى إذا قيست بهذه الصور المصطنعة الضئيلة التي صبغت في ظلال المكاتب بجهد جهيد . ونرجو أن يعرف العلماء ضلالهم ، فيعدلوا عن النيل من هذه الصروح المعجزة التي رفعها التاريخ اقراراً بفضل أنبياء العرب

وعلامات يتميزون بها كإرسال طرف العمامة بين الكتفين .

وهناك نماذج كثيرة مخزية لتخبط المستشرقين واضطرابهم وتعصبهم وحرصهم على الإغراب في القول والتطرف في الرأي حرصاً على الظهور باستنتاج جديد يتناسب مع القرن العشرين ؟! (١) .

ونستغني في هذه الناحية عن الإفاضة في البحث بقول المستشرق المسلم العلامة « ناصر الدين دينيه » في كتابه « الشرق كما يراه الغرب » :

« يحتاج العالم ، في القرن العشرين ، إلى معرفة كثير من العوامل الجوهرية ، كالزمن ، والبيئة ، والإقليم ، والعادات ، والحاجات ، والمطامع ، والميول والأحقاد ، الخ . . لا سيما إدراك تلك القوى الباطنة التي لا تقع تحت مقاييس المعقول ، والتي يعمل بتأثيرها الأفراد والجماعات .

لنضرب مثلاً عكسياً : ما رأى

(١) المصدر السابق ص ٤٦ وغيرها .

وبني اسرائيل والهند على الإنسانية ، فإن أساس هذه الصروح أصلب من أن تخذشه تلك المعاول .

وإذا شاء المستشرقون أن تكون جهودهم مثمرة فلينصرفوا عن إضاعتها في محاربة المنقول الذي هو أسمى من أن يوازيه شيء ، الى شرح هذا المنقول وإحيائه بدرس نفسية العرب درسا عملياً غير سطحي^(١) .

٣ - لا بد للناظر في دراسات المستشرقين أن يدرس بيئتهم ومشاعرهم ، لأن ذلك يعرفه بدوافعهم ، وبالمحنى الذي تسلكه عقليتهم في التفكير والبحث والنقاش . فأوروبا كانت في ظلام دامس فجاء المسلمون بالنور المبين وحكموا أقاليم منها ، ودان باقيها لهم بالطاعة والولاء . ودخل الناس « النصرارى » في الأندلس وصقلية في دين الله أفواجاً أفواجا . . وكانت الكنيسة هي الطبقة المثقفة والشريكة في حكم البلاد . فتم عجزها عن الصمود في وجه المد الإيماني الإسلامي في شعوبها فكرياً

واجتماعياً واعتقادياً وأخلاقياً ، كما عجزت دولها عن رد المسلمين عن أوروبا عسكرياً . ومن هنا لاحظ التوجس الكنسي من المسلمين وإشاعة الشائعات حول المسلمين بغية إثارة الحقد والكراهية في الأوروبيين نحوهم ، إذ التوجيه العام والشعور العام نحو المسلمين لم يكن طبيعياً ولا سليماً على الإطلاق . وأوضح الأمثلة على ذلك ما جرى لأديب روسيا الكبير في العصر الحديث « تولستوي » فقد دأب على تخفيف البلايا عن الإنسانية ، وجابه في حياته صعاب العقبات وأبى لها أن تثنيه عن الحق ، فاكسب الكراهية والبغضاء من خصوم الحق . فإنه لما اطلع على الاسلام عجب من الحملة المسعورة الشعواء التي يشنها المستشرقون والمبشرون ورجال الاستعمار ، فحملة الإنصاف على بيان وجه الحق فكتب مبيناً اعجابه بالاسلام واحترامه لرسوله عليه الصلاة والسلام . فكان مما قال « تولستوي » :

(لا ريب أن هذا النبي من كبار الرجال

(١) انظر محمد رسول الله - مقدمة الدكتور عبد الحليم محمود ص ٥٧ .

الله ، بحيث يمنعها عن شيء من محبي الحق والخير والانصاف ؟!!

والكنيسة فعلت مثل هذا مع المفكر الفرنسي الكاثوليكي « رينيه جينو » . فكان أول تقدير حقيقي لأبحاثه وفكره . فإنها حرمت من رحمة الله وحرمت على النصارى قراءة كتبه ، والكنيسة إنما تعتمد إلى ذلك تجاه كبار المفكرين الذين تخاف خطرهم . وقد أعلن إسلامه وتسمى باسم : الشيخ عبد الواحد يحيى ، وكان إسلامه ثورة أيقظت ضمائر كثير من المفكرين ، فتابعوه في إعلان الإسلام والدعوة إليه . فلما مات كتبت عنه كثير من صحف أوروبا . فكان مما قاله الأديب الفرنسي « أندريه جيد » : (ان آراء « رينيه جينو » لاتنقض)^(٢) .

في مثل هذا التيار الصاحب الغاضب على كل من يجهر بكلمة الحق ويعلم حكم العدل والانصاف هل يمكن للباحث المستشرق أن يكون موضوعاً حيادياً في أبحاثه دون ان تطارده لعنات البابا

المصلحين الذين خدموا الهيئة الاجتماعية خدمة جليلة ، ويكفيه فخراً : أنه هدى أمة برمتها الى نور الحق ، وجعلها تنجح للسلام ، وتكف عن سفك الدماء وتقديم الضحايا . . . ويكفيه فخراً : أنه فتح طريق الرقي والتقدم ، وهذا عمل عظيم لا يفوز به الا رجل أوتي قوة وحكمة وعلماً ، ورجل مثله جدير بالاحترام والاحلال . . . !)^(١) .

كيف استقبل العالم المسيحي هذه الكلمات الحسان وأمثالها مما لا يحمل عليها مطمع ولا رهبة ، اللهم لا الاستجابة لنداء الضمير والجهر بالحق والانصاف ؟!!

لقد تمثلت غصبة الجو الاجتماعي والتيار الديني في الغرب في تصرف البابا . فقد أعلن الباب أنه حرم الأديب « تولستوي » من رحمة الله !!

فهل تتعجب من أسلوب البابا الموضوعي المنطقي الحيادي ؟! أم تعجب عن إعلانه الوصاية على رحمة

(٢) محمد رسول الله - مقدمة الدكتور عبد الحليم محمود ص ٢٨/٢٩ .

(١) محمد رسول الله - مقدمة الدكتور عبد الحليم محمود ص ٢٢ .

بالبحث العلمي الحيادي الجاد ، وهو بحث مدقق ، لا تعصب فيه ، وإنما يراد منه معرفة الحقيقة التاريخية كما هي . . ! ولكن ظهر في أبحاثهم ان هذه الشعارات في وادٍ وان التطبيق العلمي في أبحاثهم في وادٍ آخر !! إذ لم يكن إلا نتاجاً لبواعث وأهداف لا مجال لقبولها في البحث العلمي اطلاقاً . نجم عن ذلك تخبط عظيم في الآراء والنظريات المنافية للحق الصراح في سيرة خاتم المرسلين . أكد ذلك انهم ما طرحوا شعاراتهم الا تغريراً بالبسطاء والجهلاء ، وأحبولة تزلق بواسطها الأفاويل الى أذهان الذين لا يعلمون . وطاف بخاطري ان أسرد نماذج هامة من ذلك التخبط في تصنيف علمي جديد يكشف وصفها ومجافاتها للحق والواقع :

أولاً : أنكر المستشرقون ما قامت باثباته الدلائل العقلية والنقلية :

إذ جحدوا نبوة محمد عليه الصلاة والسلام وتنزيل القرآن كتاب الله تعالى عليه وحياً بواسطة جبريل الأمين . أما دلائل نبوته العقلية فقد ذكرت كثيراً منها في كتابي (نبوة محمد صلى الله عليه وسلم في

وقرارات الحرمان وتحريم مطالعة آرائه وكتبه ، ثم التضيق عليه في رزقه !؟ وكثير منهم يتوقف موردتهم على هذا العمل الاستشراقي الذي يرضي نزوات الساسة ورجال الدين والمبشرين . ومن هنا ندرك أن شذوذ المستشرقين عن البحث العلمي الحيادي نتيجة لا تستغرب بعد تضافر مقدماتها وأسبابها القوية ، الا عند البعض ، وهم قلة نادرة بالنسبة للتيار الاستشراقي العام . وكما قالت القاعدة : (النادر لا حكم له) . وجاءت ردود العلماء المسلمين على المستشرقين بصيغ العموم ولكنها في الحقيقة لا تقصد هذه النادرة الفاضلة . وإنما قصدت عامة المستشرقين المغرضين الذين خالفوا المبادئ العلمية القويمة لبواعث وأهداف لا يجوز الاعتداد بشيء منها أو الخضوع له في البحث العلمي الموضوعي .

تخبط المستشرقين في أبحاث السيرة النبوية

طرح المستشرقون شعارات براقية جذابة يستسلم لها كل باحث ويقبل بتطبيقها ونتائجها . فأعلنوا انهم يقومون

الله لرسولي موسى وعيسى عليهما السلام بالمعجزات المادية وانها سبب إيمان الخلائق بهما ، فان دلالات المعجزات مسلم بهما لدى جميع العقلاء ، كما يعتد بها أهل الديانات السماوية . فلماذا أنكرها المستشرقون وأتباعهم خاصة في دين الاسلام !؟ وسنرى هذا الجانب وتفصيل الرد عليه قريباً بإذن الله .

ثالثاً - أعلنوا تكذيبهم بأسس إيمانية هم على يقين من صحتها ، ويصدقونها في دياناتهم . مثال ذلك : إنكارهم الوحي الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وتأويلهم مظاهره ، ومعظم هؤلاء المستشرقين يهود ونصارى . وكل تأويل افتعلوه لإنكار وحي الله إلى محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم يمكن أن تؤول به مظاهر الوحي على الانبياء الذين يؤمنون بهم !!

لذا نطرح عليهم هذا التحدي الكبير : حددوا لنا مظاهر الوحي الصحيحة التي إذا توافرت في امرئ كان رسولاً صادقاً من

القرآن (و) بينات المعجزة الخالدة (١) أما الدلائل العقلية فقد ذكر رحمة الله الهندي في كتابه (إظهار الحق) بشارات الكتاب المقدس ببعثة خاتم النبيين محمد عليه الصلاة والسلام . وتعترف الكنيسة في عصرنا بهذا الكتاب على انه نصوص التوراة والانجيل . وقد أوردت أهم هذه البشارات مع تحليلها في الكتاب الأول (٢) .

ثانياً - أنكر المستشرقون اليقيني من السمعيات واليقيني من دلالاتها العقلية . مثال ذلك : انكارهم معجزات الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم . وفيها المعجزات المادية وهي ثابتة بالتواتر ، وأنكروا دلالاتها القاطعة على نبوة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم . ومن المؤسف ان بعض الكتبة المنتسبين الى العلم الإسلامي قد تابعوهم على هذا ، كما تابعوهم - بالتالي - في منهجهم بإنكار كثير من الأحاديث النبوية الثابتة . على أن معظم هؤلاء المستشرقين يؤمنون بتأييد

(٢) نبوة محمد صلى الله عليه وسلم في القرآن ص ٣٢٩/٣٠٩ .

(١) طبع دار النصر بحلب سنة ١٣٩٣ هـ وسنة ١٣٩٥ هـ .

والجهل بالأديان السماوية في الجزيرة العربية ، كما أنكروا صفات الرسول وأخلاقه فاتهموه بالكذب ، وقد اشتهر بالصادق الأمين ، وألصقوا به أوصافاً على العكس تماماً مما اتصف به من خلق عظيم . وأرجو الله تعالى أن ييسر لي دحض هذه المزاعم .

خامساً - لم يفهم أن تنكروا الحقائق التاريخية الجلية ، بل حملهم تغرضهم على افتراء أحداث لم تحصل قط . مثل إصابة الرسول بالصرع . وقد نقضه العلماء المسلمون بالأدلة العلمية والطبية ، فاضطر كثير من المستشرقين لافضاح هذه الفرية تماماً - أن يخطئوا إخوانهم في هذه التهمة !! وبذلك يخففون من انكشاف التغرض الاستشراقي ، ويوهمون الآخرين بأنهم على الحياد ، بدليل انتقادهم إخوانهم !!

وزعموا أن الخيالات والأوهام قد سيطرت على الرسول الكريم (٢) ، حاشاه

الله تعالى وبيّنوا ظهورها في أنبيائكم ، ثم تعالوا نحتكم إليها لدى البحث في ظاهرة الوحي وتنزيل القرآن الحكيم على خاتم المرسلين محمد صلى الله عليه وسلم !! ولكن هل من مجيب ! كلا ! ثم كلا !! ﴿فإن لم يستجيبوا لكم فاعلموا إنما أنزل بعلم الله ، وأن لا إله إلا هو فهل أنتم مسلمون﴾ (١) . يمنعهم من ذلك التعنت والتعصب الديني الأعمى الذي حملهم على موقف متناقض من أمر واحد ، وهو وحي الله ، فآمنوا به تارة وكفروا به تارة أخرى !!

وإنا سنعرض صورة كاملة عن مظاهر الوحي الى سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وخصائصه بالتفصيل المناسب . ثم نناقش أهم شبهات المستشرقين ونزھقها ببراهين الحق بإذن الله . وهذا أمثل سبيل في نظرنا . والله ولي التوفيق .

رابعاً - أنكر المستشرقون الحقائق التاريخية الشهيرة : مثل أمية الرسول محمد عليه الصلاة والسلام ، وتفشي الأمية

« واط » في مواقع من كتابه (محمد في مكة) كما تورط فيه المستشرق اليهودي « جولد تسهر » انظر كتابه « العقيدة والشريعة » ص ١٩ و ٢١ و ٧٧ .

(١) سورة هود : ١٤ .
(٢) زعم ذلك درمنغام (الوحي المحمدي لرشيد رضا ص ٨١) وتورط في نحو ذلك امام المستشرقين

المسلمين اعتبروا دراسة السند هي الأسلوب الوحيد في تحقيق الأخبار التاريخية . وذكرت سابقاً أن كتاب « منهج النقد في علوم الحديث » صاغ علوم الحديث في نظرية كاملة لتحقيق الآثار . فأبان أنها تقوم على نقد السند وال متن معاً ، بأقوم نهج وأروع سداداً ! ونحن بدورنا نقدم تحدياً كبيراً ثانياً للمستشرقين : أن يقدموا منهجاً تفصيلياً كاملاً في تحقيق الأخبار التاريخية حتى نناقشه ونحكم إلى مسلماته !!

أما الإصرار على الاكتفاء بالطعن في منهج النقد الإسلامي . . فذلك أسلوب غوغائي ترفضه العقلية العلمية في كل زمان ومكان !!

ولا يخفى عليك ما ينطوي عليه التنكر لكتب الحديث ومنهج المسلمين في تحقيقه ، من هروب المستشرقين من الحقائق التاريخية ووقوعهم تحت سطوة روايات هزيلة عساها تمكنهم من الإيهام بصحة تقولاتهم ، مع أنها روايات غير وثيقة ولا سبيل إلى إثبات صحتها ، اللهم

من ذلك عليه السلام ! فقد عُرف باليقظة والنباهة ، وقاد بذلك الأمة إلى العز والنصر المبين !!

كما زعموا أن الرسول تعلم من ورقة بن نوفل وغيره ، وستجد دحض هذا التخرص الفاضح في أبحاثنا القادمة بإذن الله تعالى .

هناك افتراءات كثيرة . . . ومن أقبحها تقويل المسلمين ما لم يقولوا في دينهم ، فقد زعم « واط » زعيم الاستشراق المعاصر : أن المسلمين يعتقدون بأن محمداً صلى الله عليه وسلم وأصحابه قد اكتشفوا قصص الأنبياء بالتدريج !!^(١) .

سادساً - أنكر المستشرقون الوثائق التاريخية القويمة ، ونعني كتب الحديث النبوي ، وتنكروا لعلم تحقيق الوثائق « مصطلح الحديث » . لقد أزعجهم وأخرجهم اعتماد العلماء المسلمين على السند . ولا غرو فالإسناد خصيصة هذه الأمة الإسلامية ! وتصادف في أبحاثنا التالية طعن « واط » المستشرق في فائدة الإسناد . وهم يوهمون القارئ أن علماء

Mohammad At Mecca, W. Montgomery Watt, Oxford 1953, 46.

(١)

اشتملت على حقائق ناصعة في سيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى براهين مفحمة للنبوة المحمدية .

فلما أصر المستشرقون مسبقا على التكذيب بنبوة خاتم المرسلين صلى الله عليه وسلم كان من مصلحة موقفهم ذلك أن يتكروا لجميع كتب الحديث دفعة واحدة « هكذا ! » ليعفوا أنفسهم من مجابهات علمية نافذة ، لا يملكون تجاهها غير الاستسلام العلني لحقائق كتب السنة ودلائل الحق اليقين على نبوة خاتم المرسلين محمد طه الأمين عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم .

سابعاً - المغالطة في تفسير القرآن وحقائق السيرة النبوية بعيدا عن أي منهج علمي مقبول . فالقرآن العظيم عربي مبين فلا بد في تفسيره من رعاية أساليب البيان العربي واعتبار خصائصه ومزاياه ، ليُعرف المراد من هذا البيان المعجز . وتستجد مثال ذلك في تصرف البروفسور « واط »^(١) في تفسير قوله تعالى ﴿ هل أتاك حديث الجنود فرعون وثمود ﴾ وهناك أمثلة ذلك

إلا تشبث المستشرقين أحيانا بتقدم تاريخ تصنيفها !! وماذا يعني تقدم زمان الرواية وتدوينها ما لم يكن رواتها ثقات عدولا حافظين ضابطين تناقلوها إلينا بإسناد متصل !! ؟ فما العمل لو كان في رواتها كاذب أو ضعيف !! أو كان سندها منقطعاً !! إذن لا بد من دراسة السند حتى يتميز الخبيث من الطيب في الأخبار !! على أن بعض المستشرقين المعاصرين مثل « واط » قد عول في كتبه على بعض كتب الحديث مثل صحيح البخاري ، لإتمام الأخبار ، لكنه لم يسلم بصحة وسلامة ما فيه عموماً !!

ولكن ما هو الضابط في جواز الأخذ ببعض كتب الحديث وترك البعض الآخر !! وكيف يصح ذلك ؟! هذا ما ستلقى بسط نقاشه في أبحاثنا القادمة ، بإذن الله تعالى .

ولا يخفى على باحث أن كتب الحديث النبوي الوثيقة قد احتوت على أصول للثروة الفكرية والتشريعية والأخلاقية العظيمة - فالسنة هي المصدر التشريعي الثاني - كما

كثيرة جداً .

وإن حقائق السيرة صارت تفسر بشكل يعيد جداً عن الواقع ، فالمستشرق القسيس (لامانس) يعتبر المنافقين في أيام رسول الله صلى الله عليه وسلم : أبطال الوطنية القومية . وأنت لا تدري هل هؤلاء عرب ومحمد أعجمي في نظر (لامانس)؟! أم هؤلاء سعوا الى جمع كلمة الأمة العربية دون محمد عليه السلام؟! ذهب البرفسور « واط » إلى الزعم بأن المنافقين كانوا يشكلون جبهة « المعارضة الاسلامية ! »؟ بل ذهب الى إعلاء شأن جميع خصوم النبي والعرب حتى صار اليهود في نظره « معارضة يهودية »! ؟ لا شك أن المعارضة لا تقف مع عدو ضد قومها ، والمنافقون وقفوا سرا مع اليهود والمشركين الذين يريدون

إجثاث الأوس والخزرج والمهاجرين . فلا نطيل النقاش بل نسأل « واط » المستشرق عن المنافقين : ما الفرق بين المعارضة والطابور الخامس؟! ونسأله عن اليهود : ما الفرق بين جبهة المعارضة وبين العدو المحارب خيانة وغدرًا؟؟!!

وتأمل ما يقدمه القسيس المستشرق لامانس في تفسير ألفاظ القرآن والسيرة . كقوله في معنى الردة : « الانفصال » والمرتدون : « الانفصاليون » ، والمنافقون : « المشككون » وهم أبطال الوطنية القومية في ادعائه ، ومعنى قول الله تعالى ﴿ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴾ : إِنَّ اللَّهَ مع الساكين عن سياسة محمد المتناقضة - في زعمه - وتجاهل سمو المعنى الجهادي في الصبر والمصابرة في سبيل الله ، كما هو ظاهر الآية وسياقها^(١) .

الدكتور حسن ضياء الدين عتر

(١) محمد رسول الله - مقدمة الدكتور عبد الحليم محمود ص ٥٤ ومحمد في المدينة - واط - ص ٢١٢ .

أهم المراجع

- إظهار الحق - رحمة الله الهندي . ط مصر .
- السنة ومكانتها في التشريع الاسلامي . دكتور مصطفى السباعي . ط دمشق .
- تاريخ أجنحة المكر الثلاثة - عبد الرحمن حبنكة الميداني .
- تاريخ الحضارة الاسلامية - جاد محمد رمضان . ط مصر .
- مناهل العرفان في علوم القرآن - عبد العظيم الزرقاني . ط الثالثة مصر .
- منهج النقد في علوم الحديث . دكتور نور الدين عتر . ط دمشق .
- محمد رسول الله - ناصر الدين «ايتين دينيه» تقديم دكتور عبد الحليم محمود . ط مصر .
- التبشير والاستعمار - الخالدي ، فروخ ط لبنان .
- نبوة محمد صلى الله عليه وسلم في القرآن - حسن ضياء الدين عتر . ط حلب .
- بينات المعجزة الخالدة - حسن ضياء الدين عتر . ط حلب .
- أحرف القرآن وقراءاته - حسن ضياء الدين عتر (تحت الطبع) .
- الوحي المحمدي - رشيد رضا - ط خامسة - مصر .
- دراسة الكتب المقدسة في ضوء المعارف الحديثة - موريس بوكاي - ط مصر .
- العقيدة والشريعة - جولدتسهر . ط مصر .
- Mohammad at Mecca, W. Montgomery Watt, Oxford 1953.